ملامح من العلاقات السياسية الجزائرية المغربية على عهد الأتراك العثمانيين في الجزائر والأشراف السعديين في المغرب الأقصى

د . عزالدين بن سيفي
جامعة عباس لغرور/ خنشلة

ملخص :

عالج هذا البحث، موضوع العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب على عهد الأتراك العثمانيين في الجزائر، والأشراف السعديين في المغرب الأقصى، حيث تتبعنا فيه بعض من ملامح العلاقات السياسية بين البلدين، في مختلف المحطات التاريخية، محاولين فيه الإحاطة بالظروف والأسباب التي أطرت هذه العلاقة، وذلك بالإجابة عن التساؤل التالي: ما أهم التطورات السياسية التي شهدتها العلاقات السياسية بين البلدين، وهل كان للقوى المسيحية دور في توجيه هذه العلاقة .

Abstract

In this paper, we have treated the subject of the political relationship between Algeria and Morocco at the Turkish Othman's era in Algeria. And the alashraf Saadiene in morocco, where we tried to answer the following question: What are the major political evolutions that had marked the political relationship between the two countries? And, did the Christian powers play any role in the orientation of these relationships?

الكلمات المفتاحية: الجزائر/ العثمانيين/ المغرب/ السعديين/ العلاقات/ الحدود.

مقدمة :

شكل سقوط غرناطة 1492م، آخر معقل للمسلمين في الأندلس، نقطة تحول حاسمة في تاريخ المغرب العربي والأندلس، فحروب الاسترداد التي شنتها القوى الصليبية الأوروبية على مسلمي الأندلس، لم تتوقف عند حد طردهم من شبه الجزيرة الإيبرية، بل امتدت لتشمل بلاد المغرب، فسقطت مبكراً بعض الثغور من تونس والجزائر، والمغرب الأقصى، ولما كانت القوى المحلية– الحفصية، والزيانية، والوطاسية- غير قادرة على مواجهة العدوان لجأ أعيان الجزائر إلى العثمانيين، الذين سارعوا إلى طرد الغزاة من سواحل الجزائر، وبعدها لم يكن أمام الجزائريين من سبيل سوى مبايعة الباب العالي، وتنصيب الحكم العثماني في الجزائر، ومنها امتد الوجود العثماني إلى إلحاق ليبيا، ثم تونس إلى الخلافة العثمانية، أما المغرب فظل رافضاً لفكرة الانضمام، مستقلاً رغم المحاولات العديدة من أتراك الجزائر العثمانيين، وخاصة في فترة حكم الأشراف السعديين. فما أهم التطورات السياسية والتاريخية التي ميزت العلاقات الجزائرية المغربية في هذا العهد من حكم الأتراك العثمانيين في الجزائر، والأشراف السعديين في المغرب.؟ وهل كان للقوى الصليبية دور في توجيه هذه العلاقة؟.

اولا: العلاقات على عهد محمد الشيخ السعدي:

وجد السعديون منذ أن تربع وا على عرش الحكم في المغرب أنهم أحق بخلافة المسلمين [1]، وكان هذا استناداً إلى نسبهم الشريف الذي يجعل منهم أحق بالخلافة من الترك العجم ،ولذلك لم يعترفوا بالخلافة العثمانية ،وعلى النقيض من ذلك كان العثمانيون يرون أنهم أولى وأحق بالخلافة ،فقد اعترف بهم شريف مكة نفسه وأعطاهم مفاتيح الكعبة وتلقب السلطان العثماني بخادم الحرمين الشرفين إلى جانب أن الدولة العثمانية كانت أكبر قوة إسلامية آنذاك [2]، وانطلاقاً من هذا التناقض قام بين الطرفين صراع كان في بعض الأحيان صراعا عسكرياً مباشراً وفي بعض الأحيان صراعاً خفياً تحت قناع المهادنة [3]، إلا أن هذا لا ينفي وجود علاقة تعاون بين الطرفين في فترات أخرى.

رغم أننا لا نلمك من المصادر التي تشير إلى صلات أو علاقات مباشرة بين الأتراك العثمانيين في الجزائر على عهد المؤسس الأول عروج، وبين الشريف محمد القائم بأمر الله مؤسس الدولة السعدية في المغرب[4]، وهذا ما يؤكد لنا أن العلاقات بينهما كانت سطحية لم ترق إلى الشكل الذي تذكره المصادر التاريخية ولعل الإشارات الأولى لاتصال أتراك الجزائر بالمغرب عموما ،تبرز بشكل مثير ضمن الجيش الوطاسي، والجيش السعدي كجنود في صفوفهما، حيث تشير وثيقة برتغالية إلى وجود أتراك عثمانيين في صفوف السعديين منذ سنة 1529م حيث كان للأتراك دور كبير في تقديم الخبرة للجنود المغاربة خاصة في ما تعلق بسلاح المدفعية والأسلحة النارية [5] ، أما في ما تعلق بالعلاقات الرسمية فتشير إحدى الوثائق البرتغالية إلى وجود اتصالات بين أحمد الأعرج والأتراك العثمانيين الأمر الذي أقلق الإسبانيين والبرتغاليين حيث يظهر التقرير الذي بعثه الكونت بيدرو تفاصيل الاتفاق بينه وبين الأمير عبد الله بن محمد الشيخ من أجل طرد الأتراك من كل بلاد البربر، كما يتضمن تفاصيل حول نية الأتراك في الجزائر لعقد اتفاق مع الشريف السعدي[6]، ويبدو من ما سبق أن البرتغاليين والأسبان كان في نيتهم العمل على إفشال كل محاولة من شأنها أن توحد العثمانيين والسعديين كما تكشف لنا عن ذلك التقارير التي بعثها حاكم

وهران الكونت لاكولديث conte d'alcaudete الإسباني إلى مدريد [7]. حيث سعى أيضا محمد الشيخ السعدي إلى التقرب من الأسبان، حيث أرسل حاكم وهران السابق الذكر إلى فاس وفدا جاؤوا للاتفاق مع محمد الشيخ حول تهيئ حملة مشتركة إسبانية مغربية ضد الأتراك[8].

كما بادر البرتغاليون إلى عقد معاهدة لسلام بينهم وبين السعديين وهذا من أجل منع الأتراك العثمانيين من الوصول إلى المغرب حيث لم يتأخر السعديون في إبرام هذه المعاهدة [9]، فتوترت العلاقات المغربية العثمانية في هذه الفترة خاصة بعد إقدام محمد الشيخ سنة 1550م على غزو تلمسان، حيث وجد السلطان السعدي في طلب أهالي تلمسان والجالية المورسكية فرصة في تحقيق طموحه يضم تلمسان، فحسب الوثائق المعاصرة فإن محمد الشيخ استقبل خمسة عشر وجيها من أعيان مديونة ووفد من أعيان تلمسان وجماعة من المورسكيين وطلبوا منهم ضم تلمسان كرها منهم للأتراك [10]، فانسحاب لدعوتهم خاصة وأن نيته كانت في ضم تلمسان كما ذكرنا إلى ولايته حيث كلف ابنه محمد الحران بمهمة الاستيلاء على تلمسان من الأتراك في جيش قواعد ستة آلاف مقاتل وفي حدود سنة 1549م زحف على إقليم وجدة وبني يزناسن ثم جرسيف فندرومة إلى تلمسان [11]، وفي المقابل فرت الحامية العسكرية التركية من المنطقة [12]. كا رد الأتراك قويا فقد بعث والي الجزائر حسن باشا جيشا كبيرا إلى تلمسان بقيادة[13] حسن قورصو [14] لطرد السعديين من تلمسان، حيث جاء في رسالة من حاكم وهران الأسباني إلى مدريد Don Martin تفاصيل المعارك القوية التي حدثت بين الفريقين وفيها أن الأتراك هزموا قوات الشريف السعدي وقتل أحد أبناء محمد الشيخ بينما أسر آخر[15].

لقد فتح التدخل السعدي في تلمسان باب الصراع بينهم وبين حكام الجزائر من الأتراك العثمانيين[16]، ومما زاد الأمر تعقيدا بين البلدين هي حملة محمد الشيخ الثانية على ديدو حيث عزل مولاي عمر الذي عينه صفا بك بعد استرجاع الأتراك لتمسان.

وفي سنة 1552م خلف صالح رايس حسن بن خير الدين، كحاكم على الجزائر ،بعد عزل هذا الأخير من طرف السلطان سليّمان القانوني ،وقد بذل الوالي الجديد كل مجهوداته على الصعيدين الداخلي والخارجي ، حيث قضى على الثورات المحلية [17] وأخضعها إلى سلطة الأتراك [18] ، أما على الصعيد الخارجي فقد عمل على تحسين العلاقات مع السعديين في البداية فأرسل سفارة بأمر من السلطان العثماني بقيادة أبي عبد الله الخروبي الذي حمل رسالتين إلى الشريف السعدي [19]، وتذكر المصادر أن السفير الجزائري جاء ليقترح على الشريف المغربي عقد سلام بين البلدين و الاعتراف بالسلطان كخليفة للمسلمين [20] وتروي بعض المصادر المغربية أن الشريف السعدي غضب وردّ على الخروبي بنقيض المطلوب[21] .

أثار رد محمد الشيخ السعدي حفيظة الوالي صالح رايس حاكم الجزائر الذي بدأ يتحين الفرصة للقضاء على السعديين فاستغل طلب أبى حسون الوطاسي ،الذي كانت تربطه علاقات طيبة مع الأتراك في الجزائر لمساعدته على استرداد ملك الوطاسيين من السعديين ،مقابل اعتراف الوطاسيين بالسلطان العثماني والتنازل له عن بعض الموانئ المغربية[22].

وفي سنة 1553م ،قاد صالح رايس حملة عسكرية كبيرة ضد السعديين متحججاً بدخول عدد من المغاربة التراب الجزائري وإغارتهم على مدينة تلمسان، حيث تقدم صالح رايس بقواته نحو الحدود وأقام معسكره قرب واد ملوية ، أما الشريف السعدي فقد خرج هو الأخر على رأس جيشٍ كبير وتحصن بمدينة تازة[23] ،فاندلعت معارك طاحنة بين الطرفين [24] هُزم على إثرها محمد الشيخ الذي تقهقر إلى مراكش فاسحاً المجال أمام صالح رايس حاكم الجزائر الذي دخل فاس في 4 جانفي 1554م[25] ، ونصب أبي حسون الوطاسي سلطان عليها.[26]

والجدير بالذكر أن صالح رايس حاول بسط سيطرته على كامل المغرب واللحاق بمحمد الشيخ إلى مراكش حيث طلب المدد والمساعدة العسكرية من السلطان العثماني ليتمكن من ذلك لكن هذا الأخير لم يستجيب لطلب صالح رايس الذي اكتفى بهذا الانتصار ونصب أبي حسون سلطانا على فاس كما تقدم ذكره ، ولكن بعد خروج الأتراك من فاس استطاع محمد الشيخ السعدي أن يسترجع فاس من الوطاسيين للمرة الثانية في 23 سبتمبر 1554م ، إلا أنه بقي يساوره الخوف من الجزائريين الذين احتلوا مدينة باديس[27].

و أمام هذا الوضع سعى محمد الشيخ التقرب من الأسبان و البرتغاليين الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة للتحالف ضد الجزائريين حيث طلب محمد الشيخ الدعم العسكري اللازم ليثأر لهزيمته مقابل شروط [28] وهذا ما تشير له أحد الرسائل التي وجهها جان الثالث إلى الضابط مازكان البرتغالي Alvaro de Carvalho في شهر جويلية 1554م جوابا على طلب تقدم به الشريف السعدي إلى مدريد و برشلونة[29] ، وفي سنة 1557م زحف السلطان السعدي إلى تلمسان ، مستغلاً في ذلك الأزمة التي تمر بها الجزائر[30] بعد وفاة الوالي صالح رايس حيثُ خلفه حسن بن خير الدين الذي عيّن للمرة الثانية حاكما على لجزائر،التي وصلها في أكتوبر عام 1557م وأول ما قام به بعد تعيينه ، تشكيل قوة زحف بها إلى تلمسان تحت قيادته الشخصية[31] ، وبعد أن أخضع تلمسان لحكمه شكل فريقاً من إثنى عشر عسكرياً من أحسن المقاتلين الإنكشاريين وأوكل لهم مهمة اغتيال السلطان محمد الشيخ السعدي ،حيث دخل هذا الفريق إلى المغرب الأقصى بحجة أنهم هاربين من الجيش العثماني [32] متظاهرين بالطاعة والولاء و الإخلاص للسلطان السعدي ،فوظف عدداً منهم ضمن حرسه الخاص ،ولما جاءتهم الفرصة خلال إحدى الجولات التفقدية التي قام بها محمد الشيخ لإقليم تارودانت قام الانكشاريون باغتياله في يوم 23 أكتوبر من سنة 1557م[33].

ثانيا: العلاقات على عهد عبد الله الغالب

لقد كان إغتيال السلطان السعدي من قبل حرسه الخاص التركي بداية تطورات هامة للأحداث القادمة بالمغرب ،حيث لم يعد هناك مجالا للشك في نية العثمانيين بإلحاق المغرب للخلافة العثمانية[34]، كما مثلت نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الجزائرية المغربية ، فبعد محمد الشيخ السعدي تولى إبنه عبد الله الغالب حكم المغرب، هذا الأخير الذي اتبع سياسة والده بمهادنة البرتغاليين والتقرب من الإسبان [35]، وهذا لمنع أي إلحاق عثماني للمغرب الأقصى مستقبلاً، حيث جنح إلى السلم ومهادنة القوة المسيحية في المنطقة، فقد كان يريد الحفاظ على كيان مستقل للمغرب بأقل قدر ممكن

من الخسارة [36]، وبهذا تخلى عن الجهاد الذي كان شعار السعديين، هذه السياسة التي زادت من المعارضين لحكمه[37]، ولقد قامت عدة ثورات في المغرب مناهضة لحكم عبد الله الغالب، ولكنه استطاع القضاء عليها تماماً ،حتى أنه قتل ثلاثة من إخوته لرفضهم البيعة، مما دفع بِعبد الملك و أحمد المنصور وأمهما سحابة إلى مغادرة سجلماسة إلى تلمسان و منها إلى الجزائر خوفاً من القتل[38].

وبعد ذلك زحف عبد الله الغالب السعدي على تلمسان سنة 1560م مستغل انشغال حسان بن خير الدين بقمع ثورة بني عباس في الجنوب و الإسبانيين في الشمال [39]، ولكن السعدي لم يبقى طويلاً بالمدينة وانسحب منها فور سماعه نبأ خروج الجيش التركي إليه [40]، ويظهر من ذلك أن مناورة السعدي عبد الله الغالب كانت فقط من أجل تخفيف الحصار الذي ضربه حسن بن خير الدين على بني عباس حلفاء الأشراف السعديين [41]، كما عمل عبد الله الغالب في هذه الفترة على التقرب من الدول الأوروبية حيث أمضى الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات مع بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال [42] وهذا من أجل كسب أحلاف يتقوى بهم على الأتراك العثمانيين .

وعلى إثر ذلك قرر حسن بن خير الدين التخلص من عبد الله الغالب، فقد تجاوزت خيانته في نظره الحد الذي لا يمكن السكوت ع نه، فجهز له جيشا كبيرا إلا أن حسن بن خير الدين تفاجأ بأمر السلطان العثماني لوقف الزحف على المغرب كون الأخير توصل إلى إتفاق مع سلطان فاس السعدي [43]، فالسلطان العثماني الذي كان قد استقبل عبد الملك المتحمس لانتزاع الملك من أخيه عبد الله، رأى أن يطبق الأسلوب الدبلوماسي الهادئ في وقف النزاع القائم بينه و بين إيالة الجزائر وبين إخوته الذين لجؤوا إلى الجزائر ، فأرسل السلطان العثماني إلى عبد الله الغالب رسولاً استقبله هذا الأخير بكثيرٍ من الحفاوة، حيث توصل الطرفان إلى إتفاق مبدئي، التزم فيه الطرف المغربي إرسال هدية سنوية إلى الباب العالي ومنحة فصلية لإخوته في الجزائر، وعلى إثر هذا الإتفاق أرسل عبد الله الغالب كاتبه أبو محمد السرغيني في سفارة إلى السلطان العثماني محملاً بالهدايا [44]، طالبا منه وقف زحف القوات الجزائرية على المغرب مقابل تعهده بعدم التدخل في تلمسان وأن يكف الجزائريون عن دخولهم إلى المغرب[45] .

ويظهر مما سبق أنّ السفارات التي بعثها السلطان العثماني قد نجحت في إحلال السلام بين الطرفين وحقن دماء المسلمين، حيث كان الأولى أن يتعاون الطرفان على صد الهجمات التي يقوم بها الإسبان والبرتغاليون على السواحل المغاربية[46]، غير أن المخاوف ظلت تراود السلطان السعدي من حين إلى آخر بعدم ثقته بالجزائريين وخوفه كذلك على ملكه، والسبب في ذالك أن إخوته كانوا لاجئين بالجزائر مما شكل بالنسبة إليه هاجس كبيرا يؤرقه باستمرار.

لجأ عبد الله الغالب السعدي إلى حلفائه الإسبان طلبا منهم المساعدة في تحرير باديس، فاستجابوا لطلبه، فأرسلوا حملة عسكرية سنة 1563م، لكنهم لم يفلحوا في ذلك لأن الجزائريين كانوا لهم بالمرصاد، إلا أن الإسبان عاودوا الكرة مرة ثانية ولكن بقوة عسكرية كبيرة تمكنوا بها من انتزاع الميناء من الأتراك الجزائريين الذين سيطروا عليه لفترة طويلة[47] .

اطمأن السلطان السعدي بعد أن طرد الأتراك من حجر باديس، وبالتالي انكماش التواجد الجزائري في شمال المغرب، فكانت النتيجة أن أصبحت العلاقات الجزائرية يشوبها الحذر والترقب، والاستنفار من حين إلى أخر حتى وفاة الشريف عبد الله الغالب سنة 1574م،

ثالثا: العلاقات خلال فترة الصراع على الحكم:

اعتلى ابنه محمد ابن عبد الله المعروف الذي تلقب بالمتوكل عرش المملكة السعدية [48] ، لكن لم تدم مدة حكمه طويلا فقد نجح عمه أبو مروان عبد الملك بمساعدة السلطان العثماني في أن ينتزع منه الحكم[49]، أما عن الظروف التي انتقل فيها الحكم من المتوكل إلى عمه عبد الملك هذا الأخير الذي كان قد لجأ إلى بلاط الأتراك العثمانيين في الجزائر منذ وفاة والده[50]، حيث قصد عبد الملك وأخوه أحمد الجزائر ومنها إلى اسطنبول للاستنجاد بالسلطان العثماني ليعينهما على استرجاع الملك بالمغرب، ولم تكن هذه أولى علاقات عبد الملك مع العثمانيين فقد كان له معهم علاقات خاصة منذ لجوئه و أُمه وإخوته إليهم هرباً من طغيان عبد الله الغالب و انخراطه بين صفوف المحاربين العثمانيين ، ورغم أن المتوكل حاول تحسين علاقاته مع السلطان العثماني ، بعد علمه بخطة عمه اللاجئ بالجزائر فأرسل سفيره إلى السلطان العثماني ، يطلب منه التدخل لدى الجزائريين لتحسين العلاقات مع المغرب مقابل الاعتراف بالسيادة الروحية للسلطان العثماني على المغرب [51]. ولعل أهم مكسب حققه الملك السعدي من هذه العلاقات هو الوقوف في وجه عمه لصده عن أطماعه في الإستيلاء على الملك.

وأما فيما يخص عم المتوكل عبد الملك فقد، توجه إلى اسطنبول ليطلب من السلطان العثماني أن يساعده في تولي الحكم في فاس ،خاصة بعد أن أثبت حسن صداقته له وذلك من خلال مشاركته في معارك الدولة العثمانية ضد أعدائها [52] ؛وبما أنّ السلطان الجديد مراد كان ناقماً على المتوكل السعدي الذي وطد علاقاته مع الإسبان و البرتغاليين [53] و الانجليز [54] :فقد استجاب لطلب عبد الملك ،حيث أصدر فرمان يطلب فيه من حاكم الجزائر رمضان باشا أن يساعد عبد الملك في أخذ الحكم في فاس . وامتثالاً لأوامر السلطان ، توجه رمضان باشا معززاً بجيش مؤلف من سبعة ألاف جندي وألف فارس إنكشاري[55] ، حيث وصلت الحملة العسكرية مشارف فاس دون أي مقاومة من طرف جيش المتوكل الذي فر إلى مراكش ، حيث رحب أهل فاس بعودة عبد الملك، وبايعوه حاكم عليهم.

أثار التدخل الجزائري في المغرب و تعيين عبد الملك الموالي للعثمانيين قلق الإسبان و البرتغاليين، أما حاكم فاس الجديد عبد الملك بن محمد الشيخ السعدي فقد ظلّ حريصاً على أن تكون علاقاته مع الجزائريين ومع السلطان العثماني حسنة يسودها التآخي وحسن الجوار [56] ،حيث أغدق عليهم أمولاً كثيرة مكافأة لهم، وكان يلقي الخطبة باسم السلطان العثماني كما ضرب اسمه على النقود ، وقد ظل في المقابل الباب العالي مسانداً للسعدي عبد الملك ، وهو ما يتجلى في مشاركة الجيش العثماني في معركة وادي المخازن [57]، وبعد توطيد ركائز ملكه في فاس عمل على انتزاع مراكش من ابن آخيه المتوكل سنة 1576م، وبعد عديد المعارك التي رجحت فيها كفة عبد الملك أمام قوات المتوكل الذي لاذ بالفرار إلى شمال المغرب يبحث عن اتفاق بينه وبين ملك البرتغال سيبستيان هذا الأخير الذي رأى في مساعدة المتوكل فرصة لإعادة نفوذه على السواحل المغربية ،واستكمال مشروعه التوسعي في المنطقة ، فقبل

سبستيان عرض المتوكل أين دخل البرتغاليين وحلفائهم الإسبان وجيش المتوكل في معركة طاحنة مع قوات عبد الملك مني فيها المتوكل وحلفاؤه بهزيمة كبيرة، قتل على إثرها ملك البرتغال والمتوكل والسلطان عبد الملك في 04 أوت 1578م[58]، حيث تعرف هذه المعركة بمعركة الملوك الثلاثة[59].

رابعا: العلاقات على عهد ابي العباس احمد المنصور:

جلس المولاي أبي العباس أحمد المنصور[60] على عرش المغرب هذا الأخير الذي دشن علاقاته مع البلاط العثماني كملك ونسي فضل العثمانيين حيث كتب يبشره بهزيمة المسيحيين في معركة واد المخازن ،وحينئذٍ رد عليه السلطان مراد مهنأً حيث أرسل إليه وفداً خاصاً مع هدايا، ولما كانت الوفود الأخرى قد قدمت بهدايا أعظم فإن المنصور لم يراعي مقام الوفد العثماني وقد أغضب هذا الموقف الخليفة العثماني ، خصوصا و قد أوعز إليه الوالي التركي في الجزائر رمضان باشا أن يأذن له بمحاربته إلا أن المنصور بادر بالاعتذار على لسان كاتبه أحمد ابن يحي الهزالي الذي حمل إلى الخليفة العثماني هدية المنصور[61] ثم ترددت الوفود بعد ذلك بين الدولتين [62] وبقيت العلاقات بينهما حسنة إلى وفات المنصور[63]،فمن خلال الرسائل التي بعثها هذا الأخير إلى باشوات الجزائر نستنتج أن العلاقات كانت جيدة بين القطرين[64] ، ومما زاد متانة العلاقة زواج حسن باشا حاكم للجزائر من أرملة أخو أحمد المنصور، إلا أن أحمد المنصور لم يكن مطمئناً لهذه المصاهرة التي كان برى فيها المنصور رغبت والي الجزائر في العرش السعدي خاصة وأن باشا الجزائر كان يحتضن ابن عبد الملك إسماعيل[65].

خامسا: العلاقات بعد وفاة المنصور السعدي:

خلف المنصور السعدي بعد وفاته ثلاثة أولاد وهم عبد الله الشيخ الذي كان في السجن وزيدان الذي كان والي على فاس وأبو فارس الذي كان واليا على مراكش ،مما أدى بانقسام المغرب في تلك الفترة إلى دويلات متناحرة[66] وقد إشتد الصراع بين أبناء المنصور على السلطة ، حيث لجأ زيدان إلى الجزائر يلتمس من حكومتها حمايته وإنصافه ،وقد أبدى استعداده لإبرام معاهدة صداقة مع الأتراك العثمانيين في الجزائر إذ كان من نصيبه حكم المغرب [67]، ولكن لانشغال الجزائريين بظروفهم الداخلية لم يقدموا الدعم لزيدان.

وفي سنة 1638م انتهى حكم السعديين لينتقل الحكم إلى مرابطي الدلائية في حاضرة فاس، الذين تمكنوا من دخول مدينة وجدة [68] قرب تلمسان، التي كانت خاضعة للسلطة الجزائرية، فتدخلت القوات الجزائرية لاسترجاعها، فجنحوا إلى التفاهم، حيث إلتزم المغاربة بأن لا يتجاوزوا حدود دولتهم، ثم اشتدّ الصراع على السلطة بين المرابطين والأشراف الحسينين والمراكشيين والفاسيين حتى سنة 1672م[69].

الخاتمة:

خلصنا في هذا الموضوع الذي عالجنا فيه أهم التطورات السياسية للعلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأتراك العثمانيين في الجزائر، والأشراف السعديين في المغرب إلى أن العلاقات وقفنا عند حقيقة واضحة وهي ما تتميز به من خصوصية، فالصراع، والتوافق، والتنافس، والتعاون، فهي بكل عمق تترجم لصورة غير مفهومة من واقع شامل لجدلية المد والجزر بين بلدين وجدلية التجاذب والتنافر بين قوتين اسلاميتين العثمانية والشريفية وجدلية التاريخ والجغرافيا في مسألة الحدود الجغرافية والحدود القبلية ، في الفترة الحديثة، علاوة على ما أضافته المتغيرات الداخلية والخارجية الثقافية والسياسية بين أطرافه الفاعلة وأطيافه المؤثرة .

الهوامش:

1. للمزيد حول موضوع خلافة بني عثمان ينظر المقال : حسام سبع محي الدين : جدلية خلافة بني عثمان قراءة تاريخية ، مجلة كان، العدد 24 ، السنة السادسة ، 2013، ص ص 10 20.
2. أحمد سالم علي : العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر، مجلة كان التاريخية ، العدد 13 ، السنة الرابعة ، 2011، ص49.
3. المرجع نفسه ، ص 49 .
4. عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر و المغرب(1517-1659)م ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، 1983، ص 143.
5. هوارية بكاي العلاقات السياسية و الروابط الثقافية بين المغرب الأوسط و الأقصى خلال القرنيين السابع و العاشر الهجريين ، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان ، 2014 ،ص 518 .
6. مجموعة من المؤلفين ، العثمانيون في المغارب، منشورات كلية الآداب العلوم الانسانية ، الرباط ، ط 1، 2005 ، ص 18.
7. عبد الكريم كريم ، المغرب في عهد الدولة السعدية ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، ط 3 ، 2006 ، ص 76.
8. أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 52.
9. غيلاني السبتي ، علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1954 1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة باتنة، 2009/ 2010، ص 4.
10. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 76.
11. هوارية بكاي ، الوجع السابق ، ص 525.
12. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 77.
13. يذكر هايدو أن القائد كان صفابك الذي كان من أصل تركي من منطقة الأنضول، حيث عين من طرف حسن باشا بن خير الدين كسفير عند محمد الشيخ السعدي سنة1546م

Haédo , Histoire des Rois d'Alger .trad h Delmas de Grammont, pp 83 84 :

14. عزيز سامح التر، ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر:محمد علي عامر، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1989م ، ص 180.
15. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 77.
16. هوارية بكاي ، الوجع السابق ، ص 534.
17. شهدت بداية ولاية صالح رايس اندلاع العديد من الثورات في الجنوب من بينها ثورة بني جلاب بتوقرت و ثورة ورغلة التي قامت بسبب كثرة الضرائب المجحفة التي فرضت عليهم من الأتراك

العثمانيين ، و التي رفضوا دفعها ، حيث لا يستبعد ان يكون للشريف السعدي محمد الشيخ يد في هذه الثورات : ينظر هورية بكاي ، الوجع السابق ، ص 536.

18. عبد العزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 185.

19. هورية بكاي ، الوجع السابق ، ص 539.

20. أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 52.

21. عبد الهادي التازي ،الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، الجزء 3 ،دار نشر المعرفة، الرباط، ط 1 ، 2001، ص15 16 .

22- غيلاني السبتي ، الوجع السابق، ص 4.

23- هوارية بكاي ، الوجع السابق ، ص 540؛ عبد الكريم كريم ، الوجع السابق، ص82.

24- عبد العزيز سامح التر، الوجع السابق، ص 190.

25-هوارية بكاي ، الوجع السابق، ص 540.

26- ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مج 2 ، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1978، ص 341.

27. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 5.

28. من بين الشروط التي أتفق عليها الطرفين أن يتحمل الطرف المغربي جميع المصاريف المتعلقة بالجنود الإسبان من يوم نزولهم في وهران إلى يوم عودتهم وتسليم بعض المراكز المغربية كالعرائش و بادس : ينظر عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص 83.

29. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 83.

30. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص 184.

31. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 6.

32. أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 52.

33. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص6.

34. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 86. 1

35. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، المجلد 3 ،الجزء 4- 5 ،الطبعة 1 ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1994، ص 303.

36-أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 52.

37 - غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 6.

38- عبد المجيد قدوري ، المغرب و أوروبا مابين القرنيين الخامس عشر و الثامن عشر ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000 ،ص 71.

39- تذكر المصادر أن حسن بن خير الدين خاض أكبر معركة برية مع الإسبان في منطقة مزغران بمستغانم وتمكن من إحراز انتصار كبير على القوات الاسبانية و في اثناء انشغاله- حسن بن خير الدين- استغل الشريف السعدي عبد الله الغالب الظروف و استولى على تلمسان : ينظر عبد العزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 207.

40. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 7 .

41. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص 189 190.

42. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص ص 90 92 .
43. أشارت وثيقة انجليزية مؤرخة في 30 جوان 1565 م إلى هذا الاتفاق و التحالف بين العثمانيين و السعديين جاء فيها " .. لقد انتهى إلى مسامع الملك فيليب الثاني أن ملك الجزائر حسن بن خير الدين و الشريف عبد الله بن محمد الشيخ قد عقد بينهما اتفاق و حلفا عظيما .." : عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 194.
44. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص 191.
45. غيلاني السبتي، الوجع السابق ، ص 7.
46. المرجع نفسه ، ص 7 .
47. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص 193.
48. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 8.
49. أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 52.
50. ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مج2 ، 342.
51. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص193.
52. عزيز سامح التر ، الوجع السابق ، ص 249.
53. عمار بن خروف ، الوجع السابق ، ص 203.
54. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق ، ص 97.
55. عزيز سامح التر ، الوجع السابق ، ص249.
56 . غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 8.
57. خاليد فؤاد طحطح : العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ،مجلة كان التاريخية، العدد 14 ، السنة الرابعة ، 2011 ، ص 107.
58. عبد الكريم كريم ، الوجع السابق، ص 104 105 .
59. شوقي أبو خليل ، وادي المخازن معركة الملوك الثلاث،الطبعة 1،دار الفكر المعاصر، بيروت ،1988م.
60. هو أبو العباس أحمد المنصور بالله الملقب بالذهبي، ولد بفاس سنة 1519م درس في أكثر من مركز علمي ولاسيما بتارودانت ومراكش وفاس ، وكان من الحزم والورع مشهورا بحزمه وتتبعه لأخبار رعيته وقد أسس مجلسا سماه الديوان يجتمع كل يوم أربعاء وهو أول من استعمل المنصورية في لباسه وقد اتخذ الاحتفال بعيد المولد .
61. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، المجلد 2 ،ص 342.
62. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الوجع السابق ، ص 309 312.
63. إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مج2 ،ص 342.
64. للمزيد في موضوع رسائل أحمد المنصور الذهبي إلى حكام الجزائر الأتراك العثمانيين في الجزائر ينظر: عبد الله قنون، رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954، ص 96. 142 . 183 . 254.
65. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 11.
66. أحمد سالم علي ، الوجع السابق ، ص 54.
67 . غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 11.

68. مدينة قديمة بنيت في سهل فسيح على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان أسسها زيري بن عطية المغراوي سنة 994 م ولموقعها كانت عرضتا للدمار أثناء الحروب المتكررة بين الزيانين و المرينيين حيث خربها السلطان المريني يعقوب المنصور سنة 1272م ثم عمرها السلطان يوسف بن يعقوب سنة 1297م ، ينظر:الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا ، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الاخضر، الجزء 2، الطبعة 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983، ص12.

69. غيلاني السبتي ، الوجع السابق ، ص 12.